مولانا الشيخ محمد عادل الربانى

الأصل الحقيقي لكل شر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. الصلاة والسلام على رسولنا محمد سيد الأولين والآخرين. مدد يا رسول الله، مدد يا ساداتي أصحاب رسول الله، مدد يا مشايخنا، دستور مولانا الشيخ عبد الله الفائز الداغستاني، شيخ محمد ناظم الحقاني، مدد. طريقتنا الصحبة والخير في الجمعية.

ثمة منافقون؛ فالمنافقون موجودون بين المسلمين وبين غير المسلمين على حد سواء. غير أن النفاق بات نادراً بين المسلمين اليوم؛ بل إن المسلم لا يجد داعياً لأن يكون منافقاً؛ فإذا لم يؤدِّ الصلاة، فهو ببساطة لا يؤديها، ولا يبالي بالأمر أصلاً. وغالباً ما يجهل مسلمو هذا العصر ماهية النفاق ذاتها. أما المنافقون الحقيقيون فهم أولئك الذين ينتمون لغير المسلمين. من هم؟ إنهم أناس يهاجمون المسلمين ويكيلون لهم شتى الاتهامات بالسوء والشر، وينفّرون الناس من الإسلام. شعار المسلم هو هذا الدعاء "اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ وَإِلَيْكَ يَعُوْدُ السَّلَامُ، فَحَيِّنَا رَبَّنَا بِالسَّلَامِ". كل أشكال العافية والخير لا تأتي إلا منك، وتوجد في رحاب الدين الإسلامي. وتتمثل وصايا المسلم فيما يلي: ألا يعذّب أحداً، وألا يظلم أحداً بغير حق، وألا يقتل أحداً، وألا ينتهك حقوق أحد، وألا يستولي على ممتلكات أحد. تلك هي وصايا المسلم.

.

أما ما يفعله غير المسلمين، فهو الحديث عما يسمى "الإسلاموفوبيا". إذ يثيرون مخاوف الجميع تجاه الإسلام. وهذا هو أقصى درجات النفاق. فالمخاوف التي ينبغي لنا مناقشتها هي أمور أخرى؛ إذ يجدر بنا الحديث هنا عن رهاب المسيحية، رهاب البوذية، رهاب الهندوسية، رهاب الشيوعية؛ فتلك هي المخاوف الحقيقية. لم تقم أي مجموعة في العالم بمذابح ضد بعضها البعض بالقدر الذي ارتكبه المسيحيون بحق مسيحيين آخرين. عندما وصل الصليبيون إلى الأناضول، بلغوا معاقل الأرمن. قالوا "نحن أيضاً مسيحيون، فلنتحد ونتعاون". وبناءً على هذا الاعتقاد، فتح الأرمن أبوابهم لهم. عندما دخل الصليبيون، لم يُبقوا أحداً على قيد الحياة؛ فقد ذبحوا الجميع - صغاراً وكباراً، رجالاً ونساءً ومسنين - معلنين "أنتم لستم منا". وقبل ذلك، كان هناك قسطنطين، مؤسس القسطنطينية، وهو الذي أفسد المسيحية؛ إذ كان يقتل كل من لا يعترف بعيسى عليه السلام على أنه "ابن الله".

.

وهنا في ألمانيا، عندما انتشرت المسيحية لأول مرة قبل 1500 عام، كان الناس ينظرون إلى عيسى عليه السلام كنبي. ثم جاءت تلك الفئة الأخرى وذبحت كل من رفض الخضوع لها. وبعد ذلك جاء الإسبان والبرتغاليون؛ فقد عذّبوا وذبحوا أناساً لم يكونوا من جنسهم. لقد أخذوا الملايين من أفريقيا؛ فقتلوا معظمهم واستعبدوا البقية. وعند وصولهم إلى الأمريكتين، ذبحوا أكبر عدد ممكن من السكان الأصليين. أما أولئك الذين لم يقتلوهم مباشرة، فقد قضوا عليهم بمنحهم بضائع موبوءة بالأمراض. وحدث الأمر نفسه في أمريكا الجنوبية. لقد قتل هؤلاء -الذين يُسمّون أنفسهم مسيحيين- الملايين من البشر. لماذا يتحدثون عن "الإسلاموفوبيا" ولا يتحدثون عن "المسيحية فوبيا"؟ هذا ما يثير غضبي. أين سُمع يوماً أن مسلماً قتل الملايين من الناس؟ هل سُمع بمثل هذا الأمر قط؟ كان هناك المغول الذين دمروا كل شيء في طريقهم، ومع ذلك، اعتنقوا الإسلام في النهاية. فقبل الإسلام، كانوا همجاً يذبحون كل من يقع تحت أيديهم، ولكن بعد أن أصبحوا مسلمين، جلبوا الحضارة. انظروا إلى الهند؛ فهي تزخر بآثارهم في كل مكان. في الحقيقة، هذا كله من عمل الشيطان. إذا ارتكب مسلمٌ ما عملاً من أعمال الظلم -وإن كان ذلك أمراً نادراً- فليبحث الناس في الأمر بعمق؛ إذ سيجدون دائماً أن غير المسلمين متورطون في أصل المشكلة.

.

الحمد لله، كنا الأسبوع الماضي في آسيا الوسطى، وتحديداً في أوزبكستان. لقد نشروا المعرفة سواء الدنيوية أو الروحانية في أرجاء العالم، وكان المسلمون هناك يشعون نوراً في كل اتجاه. فقبل الإسلام، لم يكن هناك أي أثر للمعرفة في تلك الأراضي، لكنها استنارت بنور الإسلام؛ وعادت معرفتهم بالنفع عليهم وعلى العالم أجمع. علاوة على ذلك، وصلت الحضارة بأسرها إلى أوروبا عن طريق مسلمي الأندلس. وفي تلك المناطق المعروفة بآسيا الوسطى، وُجد أيضاً العديد من المرشدين الروحانيين. كان لهؤلاء مئات الآلاف من المريدين. إذ كان هؤلاء المشايخ يرسلون مريديهم إلى أصقاع أخرى ليدلّوا الناس على طريق الحق، ويعلّموهم العلم والأدب، ويبصّروهم بمعنى الحياة. لقد كانوا نافعين للناس -نافعين بشتى السبل- لأنهم كانوا يعلّمون الإنسانية.

.

مولانا الشيخ محمد عادل الربانى

في هذه الأيام، يتحدث الناس عمن يسمونهم "الإنسانيين"، وهم في الحقيقة ليسوا سوى نوع آخر من المنافقين. إن الشيطان لا يهدأ ولا ينام. نحن ننام، أما هو فيواصل عمله ولا يكلّ ولا يملّ. وتلك هي حكمة الله ﷻ: عندما يهمّ المرء بفعل الخير، قد يشعر بالتردد أو الكسل، بينما إذا عزم على فعل الشر، فإنه يمضي فيه دون أدنى تردد. لذلك، فإن الله عز وجل يتقبل أعمال السائرين على طريق الحق وفقاً لنواياهم؛ فحتى لو لم يجعلهم الشيطان ينفّذون الفعل، فإن مجرد قولهم "سنفعل ذلك" يجعل الله عز وجل يمنحهم الأجر بناءً على نياتهم. لقد أعلن الشيوعيون في آسيا الوسطى قائلين "لقد استأصلنا جذور الإسلام"، ولم يتركوا شراً إلا وارتكبوه. ومع ذلك، الحمد لله، ما إن رحلوا حتى انبثق الإسلام من جديد من تلك الأرض ذاتها. لقد سوّوا بالأرض قبور العلماء المحليين ومقابر إسلامية بأكملها، وأسكنوا غير المسلمين في تلك المواقع. وللأسف، تكرر هذا الأمر كثيراً في قبرص وتركيا؛ حيث أزالوا المقابر القديمة وأقاموا مكانها مباني لا ضرورة لها. ففي قبرص، أزالوا قبور أسلافنا وأجدادنا لإفساح المجال لمشاريع إنشائية أخرى. لقد تخلصوا من شواهد القبور العثمانية الضخمة والقديمة، واستبدلوها بمدارس ومبانٍ أخرى لا طائل منها، وقد حدث هذا في مواقع عديدة في أنحاء قبرص. والحال أن تلك القبور كانت بمثابة صكوك ملكية لأرضنا؛ فإذا أردت اليوم أن تقول "هذه أرضنا"، فلن تجد دليلاً بين يديك. كانت هناك قبور يعود تاريخها إلى خمسمائة عام، فأزالوها كلها وتخلصوا منها. وكما ذكرنا، فقد ظنوا أنهم بتجريد شعوب آسيا الوسطى من دينها طوال ثمانين عاماً، قد جعلوهم ينسونه. الحمد لله، فقد أزال الله عز وجل أولئك الظالمين من المنطقة في لمح البصر، وازدهر الإسلام هناك من جديد، الحمد لله، بفضل بركة المرشدين والمشايخ في تلك الديار. إن جذورها ضاربة في العمق؛ فحتى وإن لم تُرَ من السطح، أو قُطعت عند مستوى الأرض، فإنها تعاود الإنبات فجأة من الأعماق.

.

ولهذا السبب، تُعد صحبة المرشد أمراً بالغ الأهمية؛ إذ لا بد للمرء من اتباع طريقهم. ففي إظهار الاحترام لهم نفعٌ يعود على الإنسان في الدنيا والآخرة. قد يتقدم البعض قائلين "لا حاجة لمثل هذه الأمور"؛ نحن لن نصفهم بالجهلة، بل بالمنافقين، وهم أولئك الذين يقولون إن "الطريقة غير ضرورية". الحقيقة أنه لا غنى عنها؛ فلا يمكنك التعلم بمفردك، ولا يمكنك أن تصبح مهندساً أو طبيباً دون معلم؛ إذ لا بد حتماً من وجود معلمٍ لك. يدرك الحكماء قيمة هذا الأمر؛ فهم يرغبون في صحبة مرشدٍ كهذا طلباً للنجاة في الآخرة. لقد رأينا هناك أضرحة العديد من السلاطين؛ وقد تمنوا جميعاً أن يُدفنوا بجوار الأولياء، بل إن بعضهم تمنى أن يُدفن عند أقدام مرشده. هؤلاء كانوا أناساً حكموا العالم يوماً ما، ولم يفعلوا ذلك عبثاً. إذا كنت تبحث عن الحكماء في هذه الدنيا، فهم أشد الناس حكمة. إن الحياة لا تدوم للأبد، بل هي لفترة محدودة فقط. على المرء أن يفكر فيما بعد هذه الحياة؛ فأقصر طريق لضمان النجاة في الآخرة هو محبة نبينا الكريم ﷺ، فقد نطق ﷺ بتلك الكلمات المباركة: "المرء مع من أحب". ولهذا السبب يغتاظ الشيطان وجنوده من هذا الأمر؛ أي من ذكر الشفاعة أو إظهار الإحترام لنبينا الكريم ﷺ. فإذا أحببت نبينا الكريم ﷺ، فإنهم يجنون غضباً، لأنهم لا يريدون أبداً أن ينال الناس النجاة. لقد قال الشيطان لله عز وجل "لأُغوينَّهم أجمعين؛ ولندخلنَّ جهنم معاً"؛ ونتيجة لذلك، يزعجهم كثيراً أن يروا أحداً ينجو.

.

لذلك، الحمد لله، فإن طريق الطريقة هو الطريق الذي يقودنا إلى نبينا الكريم ﷺ؛ إنه طريق يسعى لنيل محبته ﷺ وشفاعته ﷺ، ويعلّم أسمى درجات الإحترام والأدب اللائق تجاه النبي ﷺ. نسأل الله عز وجل ألا يضلّ أحدٌ منا عن هذا الطريق، وأن يهدي ﷻ الآخرين أيضاً، إن شاء الله. فهذا الطريق رحبٌ يتسع للجميع ويكفي الكل. نبينا الكريم ﷺ يقول "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه". وعليه، فإن الطريقة قائمة على محبة الإنسانية، وُجدت لتشجيع الناس على سلوك هذا الطريق الجميل. وفي المقابل، هناك من يحملون في قلوبهم الحسد؛ إذ يقول كثيرون منهم "أنا وحدي من يدخل، ولا أحد غيري". سنروي قصة طريفة في هذا الصدد: ثمة فئة من الناس في الجزيرة العربية تنكر تعظيم نبينا الكريم ﷺ. كان رجلان يجلسان ويتحدثان، قال أحدهما "لقد أصبحوا جميعاً مشركين، ولم يبقَ سواي وسواك!" ثم نظر إلى منزل صاحبه فرأى طبقاً لاقطاً، فقال معلناً: "أنت أيضاً مشرك! أنا المسلم الوحيد المتبقي في العالم بأسره!" تلك هي عقليتهم؛ عقلية أولئك الذين يعارضون التصوف. أما الصوفية، فيقولون دائماً: "كل الناس خيرٌ مني". يقولون "ما شاء الله، الجميع أفضل منا بكثير". إن عقلية أولئك الناس هي عقلية الشيطان، بينما عقلية الصوفي هي عقلية نبينا الكريم ﷺ. نسأل الله أن يصلح حالهم، وألا يغتر بهم أحد؛ فكثيرون هم من يسهل خداعهم، حفظنا الله ﷻ. ومن الله التوفيق. الفاتحة.

مولانا الشيخ محمد عادل الحقاني
23 أيلول 2026/ 12 ربيع الآخر 1448
سالزغيتر-ليبنشتيدت، ألمانيا